محاضرات في فقه اللغة العربية

المحاضرة الثالثة

المرحلة الأولى

اعداد

م.م. ميسرة عباس عبدالجبار

المبحث الخامس
العربيَّةُ الباقيةُ وأشهرُ لهجاتِهَا:

وهي التي ما نزالُ نستخدمُها في الكتابةِ والتأليفِ والأدب، وصلَتنا عن طريقِ الشِّعرِ الجاهليّ، والقرآن الكريم، والحديث الشَّريف. وصَادَفَ نزولُ القرآنِ الكريم لُغةً مِثَاليَّةً مُصطَفاة، وقد كانَ لنزولِهِ أثرٌ كبيرٌ في العربيَّة، فقد كفلَ لها حِفظَها وانتشارَها، وقَوَّى أَثَرَهَا. وقد تحدَّى القرآنُ الكريمُ الخاصَّةَ من أهلِ العربيَّة أنْ يأتوا بمثلِهِ أو بآياتِهِ. وهذا كلُّهُ لمْ يَنفِ وجودَ اللَّهجات، بل كانَ العربُ يُعبّرُونَ بمقتضى لهجاتِهم التي فُطِرُوا عليها، وهذا من جملة العوامل التي أدَّت إلى تعدُّد الرِّوايات في البَيتِ الواحِد.

العربية الباقية :

وقد شُغِلَ أهلُ العِلمِ بهذهِ اللُّغةِ التي أُطلِقَ عليها مُصطلحات : **الفُصحى، والعربيّة الموحَّدة، والعربيّة المُشتركَة**.

وقد كانَ أهلُ العِلمِ يعترِفُونَ بتسَاوِي اللُّغات جميعاً في الاحتجاج ((فالنَّاطِقُ على قِياسِ لُغاتِ العرَبِ مُصِيبٌ غيرُ مُخطِئ)). ولمَّا سُئِلَ أبو عَمرو بنُ العلاء فِيمَ يَفعلُ فيما خَالفَهُ مِنْ لُغاتِ العرَبِ، وهُم حُجَّةٌ، فقال: "أَحمِلُ على الأكثَر، وأُسمِّي ما خَالَفَني لُغات".

وقد عقدَ ((ابنُ جنّي)) في كتابِهِ (الخصائِص) باباً في اختلافِ اللُّغات وكلُّها حُجَّة، غيرَ أنَّهُ كانَ يُفاضِلُ بينَ اللُّغات، فيَرى في خصائصِ بعضِها أكثرَ شيُوعاً، والكثرةُ هذهِ دليلٌ على فصاحةٍ وقُوَّةٍ في نفُوسِ النَّاطِقِينَ بها.

وثمَّةَ مُشكِلَةٌ وقعَ فيها بعضُ أهلِ العِلم؛ تلكَ أنَّهم وقعوا في التناقُض حِينَ استنبَطُوا قواعدَ العربيَّة النحْويَّة والصَّرفيَّة، وذلكَ عندما أَقحَموا خصائصَ اللَّهجات ولم يَصدرُوا عن خُطَّةٍ مُحكمَةٍ شَامِلَة، فكَثُرَت التَّفريعاتُ على القاعِدة، واختلطَ المُطَّردُ بغيرِ المُطَّرد.

وقد كانَ العرَبُ فِئَتَين :

1. فِئَةُ الخَاصَّة: وكانت تعمِدُ إلى صَقلِ لُغَتِهَا وتَجويدِهَا، وتَسمو في تَعابيرِها إلى أرفعِ مُستوىً منَ التَّخاطُب.
2. وفِئَةُ العامَّة: وكانت تكتَفي بحظٍّ قليلٍ منَ الفصَاحَة، وتنطِقُ محكومةً بتَقَالِيدِهَا وبِيئَتِهَا، فَلُغَةُ الحَواضِرِ كَمكَّةَ والمدينَة تَنمَازُ مِن لُغةِ البَوادِي.

اللهجاتُ العربيَّةُ القديمة :

- اللَّهجةُ: هي (اللُّغةُ) في اصطلاح أهلِ العِلمِ بالعربيَّةِ ؛ كَلُغَةِ ((تَميم)) ولُغَةِ ((هُذَيل))، ولُغَةِ ((طَيِّئ))، واللُّغةُ في المُعجماتُ القديمةِ هي ((اللَّهجَة))، وقد أُطلِقَ عَليها ((اللِّسَان))، كما أُطلِقَ علَيها ((اللَّحن))..
- واللَّهجةُ في اصطِلَاحِ المُحدَثِين: هي مجموعةٌ منَ الصِّفَاتِ اللُّغويَّة التي تنتمي إلى بيئةٍ خاصَّة، ويَشتَرِكُ في هذهِ الصِّفَات جميع أفرادِ هذهِ اللَّهجة.

عَوامِل نشوءِ اللَّهجات :

1. **عواملُ جَغرافيَّةٌ** :

وذلكَ إذا كانت مُنتشِرةً في بيئةٍ جَغرافيَّةٍ واسعةٍ فيها الجبالُ والسُّهولُ والوديانُ، والصَّحراءُ...، ينتجُ عن هذا كلِّهِ انعزَالٌ يؤدِّي إلى تَبايُنٍ في تطوُّرِ اللُّغة. ولا رَيبَ في أنَّ طبيعةَ البيئةِ تؤدِّي إلى اختلافِ الأداءِ، فأهلُ البيئةِ الزِّراعيَّةِ مثلاً يَنمَازُونَ في كلامِهم عن أهلِ البيئةِ الصَّحراويَّةِ.

2. **عواملُ اجتماعيَّة :**

المجتمعُ الإنسانيُّ يؤثِّرُ بطبقاتِهِ في وُجودِ اللَّهجات، فالطَّبقةُ الرَّاقيةُ تتَّخِذُ لهجةً تَنْمَازُ مِن لهجَاتِ البيئاتِ البسيطةِ، على هذا قَالوا: "لهجةُ أهلِ الصِّناعةِ... وكلُّ هيئةٍ من أَربابِ المِهَنِ لَها عاميَّتُها الخاصَّةُ ".

3. **عواملُ خارجيَّةٌ** :

يُقصَدُ بها: الغَزوُ والهجرةُ والتَّجاوُرُ...هذا الاحتكاك من أكثرِ العواملِ أثراً في شيُوعِ اللَّهجات، وفي اللَّهجات شواهدُ كثيرةٌ على أثرِ الصِّراعِ اللُّغويّ، فاللَّهجات العاميَّة التي انتشرَت في البلادِ المفتوحَة تحملُ كثيراً من مظاهرِ هذا الاحتكاك.

جهودُ السَّابقِين في اللَّهجات العربيَّة القديمة :

إنَّ دراسةَ اللَّهجات العربيَّة القديمة تُفيدُ في معرفةِ تطوُّرِ دلالاتِ الألفاظ، وتُسهِم في معرفةِ خصائصِ العربيَّة ومراحلِ نشوئِهَا وتطوُّرِهَا.

ولأهلِ اللُّغةِ منَ الأقدَمين جهودٌ لكنَّها مختصرة ولا تجعلُنا نقفُ على الخصائصِ الصَّرفيَّة والصَّوتيَّة والدَّلاليَّة لتلكَ اللَّهجات، وبعضٌ منها طَوَتهُ يدُ الزَّمَن ولم يصِلْ إلَينا منهُ إلَّا النَّذرُ اليَسير، ومنها :

1. كتابُ اللُّغات لـ ((يُونُس بن حَبيب، ت 182هـ)).
2. كتاب اللُّغات لـ ((أبي عَمرو الشَّيبانيّ، ت 206هـ)).
3. كتاب اللُّغات لـ ((الفرَّاء، ت207هـ)).
4. كتاب اللُّغات لـ ((أبي عُبَيدَة، ت210هـ)).
5. كتاب اللُّغات لـ ((أبي زَيدِ الأنصاريّ، ت 215هـ)).
6. كتاب اللُّغات لـ ((الأصمعيّ، ت 216هـ)).
7. كتاب اللُّغات لـ ((ابن دُرَيد، ت 231هـ)).

وكلُّ هذهِ الكتُب مفقودَة، وثمَّةَ شذَرَاتٌ منها في كتُب اللُّغة.

المَذمُوم من لُغات العرَب :

تَروي كتبُ اللُّغةِ أنَّ في لُغاتِ العرَب ظواهر ضَعيفة لا تتَّصِفُ بالفصَاحَة، ومنها :

1. **الكَشْكَشَة :**

وهي تُعزَى إلى ((رَبيعَة ومُضَر))، وقِيلَ: يَجعَلُونَ بعدَ الكاف ((شِيناً)) في خِطَابِ المؤنَّثَة، فيُقَال: ((بِكِش، لَكِش))، وذلكَ في الوَقف عندَ بعضِهِم، وقِيلَ: وفي الوَصلِ أيضاً. وَرُوِيَ أنَّ بعضَ الأعرَاب يَجعَلُونَ الكاف ((شِيناً)) نحوَ: ((مِنْشِ = مِنكِ))، و((عَلِيشِ = عَلَيكِ))، وعلى هذهِ اللُّغة قولُ الشَّاعر:

فَعَينَاشِ عَينَاهَا وجِيدُشِ جِيدُهَا ولكنَّ عَظمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ

والأصلُ:

فَعَينَاكِ عَينَاهَا وجِيـــدُكِ جِيدُهَا ولكنَّ عَظمَ السَّـــاقِ مِنْكِ دَقِيقُ

2. **الفَحفَحَة :**

وهي تُعزَى إلى ((هُذَيل))، فَهُم يجعَلُونَ الحَاءَ ((عَيناً))، وعلى ذلكَ قراءَةُ ((عَتَّى حِين)).وفي حُدُودِ ما أعلَمُ أنَّ هذه الظاهرة مقتصرةٌ على هذه القراءة.

3. **الطَّمطمانيَّة:**

وهي تُعزَى إلى ((حِميَر))، وبعض ((طَيِّئ))، ويُورِدُونَ مِثَالاً، وهو قولُهم: ((طَابَ امْهَواءُ)) يُرِيدُونَ ((طَابَ الهَواءُ)).

4. **العَجعَجَة :**

وقد عُزِيَت إلى قُضَاعَة، يَجعَلُونَ الياء المُشدَّدة ((جِيماً))، نحوَ: ((تَمِيمِجّ)) أي ((تَمِيمِيّ))، وعلى هذه الظَّاهِرَة قولُ الرَّاجز:

خَالي عُوَيفٌ, وأَبُو عَلِجّ
المُطْعِمانِ اللَّحمَ بالعشَجّ .

أي :

خَالي عُوَيفٌ وأَبُو عَلِيّ
المُطْعِمانِ اللَّحْمَ بالعَشِيّ .

5. **عَنْعَنَةُ تَميم :**

وهي إبدَالُ الهمزةِ المَفتوحةِ ((عَيناً))، وعَليها قولُ الشَّاعِر:

أَعَنْ ترسَّمت من خَرْقاءَ منزلــةً

ماءُ الصّبابةِ من عينَيك مَسجُومُ .

المُراد: أَأَن تَرسَّمت.

≅≅≅

المبحث السادس

الفصيح من لغات العرب

تعريف الفصيح :

الفصيح من الكلام ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عّما عليه أهل الأدب، ولتصحيح ذلك وُضِع النّحو، ولجمعه وُضعت الكتب، وذُكر المستعمل منها والشاذُّ والمهمل، وحقّ من نشأ في بلاد العرب أن يستعمل الاقتداء بها ولا يخرج عن جملة ألفاظهم. وليس كل العرب متساويين في الفصاحة ولا في إدراك المعاني، ولا في نظم الشّعر حّتى فحول شعرائِهم يتفاوتون في الفصاحة.

أراء المستشرقين : جاءت أراؤهم متباينة ، يعوزها الدليل ؛ يذهب (غويدي) (ت 1935م) أنّ الفصحى خليط من لهجات نجد والمناطق المجاورة ولا تمثّل لهجة بعينها من هذه اللّهجات. ويرى (نلينو) (ت 1938م) أنّ الفصحى لغة القبائل التّي اشتهرت بنظم (الشّعر) والتّي جمع أهل اللّغة مادتهم وشواهدهم منها. ويذهب (نولدكه) (ت 1930م) إلى أنّ الخلافات بين لهجات الأقاليم في الجزيرة العربّية الأساسيّة وهي الحجاز ونجد ومنطقة الفرات كانت قليلة ، وأنّ الفصحى مؤسسة عليها. والفصاحة قضية ملتبسة ، وفي كتب الفصيح والتفسير والقراءات قضايا كثيرة لا مجال للإفاضة فيها تنتمي إلى هذه المقولة .

أولاً - لغة قريش :

يذكر الأزهريّ (ت 370 هـ)عن أبي بكر الصدّيق (ت 13 هـ) رضي الله عنه قوله: **"قريش هم أوسط العرب في العرب داراً وأحسنهم جِواراً، وأعربهم ألسنةً"** ،كذلك ذُكِر أنّ (الفرّاء) (ت 207 هـ) ينعت لغة قريش بالفصاحة، ويرى أنهّا كانت تتأثّر بلغات العرب، يقول: **" كانت العرب تحضرُ المَوسِمَ كلّ وتِحجُّ البيت في الجاهليّة، وقريش يسمعون لغات جميع العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلّموا به فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللُّغات ومستقبح الألفاظ".** والمبّرد (ت 286 هـ): لا يقول بفصاحة لغة قريش فحسب بل إنّه يرى فيها مثالاً عالياً للفصاحة ، يقول: **" وإنَّما يُقالُ (بنو فُلانٍ أفصَحُ من بَنِي فُلان، أي: أشبَهُ لغةً بلغةِ القرّآن الكريم ولغة قريش "**

كذلك نعت (الفارابي)(ت339 هـ) لغة قريش بعدد من الصّفات، متوسّلاً اسمَ التَّفضيل في ذلك، فقال: **"كانت قريش أجودَ انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللّسان عند النّطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عمّا في النّفس".**

ماهي العوامل أو الأشياء التي عللوا بها تقدّم لغة قريش؟ و لعلّ أبرز ما علّل به أهل اللّغة والنّحو تقدُّم قريش في الفصاحةِ هو:

1- كانت قريش فصيحة طبعاً وسليقة.
2- عززّت قريش فصاحتها، ورفدت لغتها بأن استعارت أجودَ ما عند العرب من لغات.
3- خلت لغتهم من العيوب الّتي تصيب اللّهجات.
4- هم أهل البيت الحرام، وهو مهوى قلوب العرب حتى قبل الإسلام.

صدى لغة قريش في القراءات القرآنية:

- ✓ نستطيع أن نتبيّن فصاحة لغة قريش من خلال رصد القراءات الّتي وافقت لغتها، وذلك لأنّ أهل العلم بالقراءة ينصُّون على أنّ القراءة تكون بأفصح اللُّغات وممّا عُزي إلى لغة قريش أحرف قُرِئَ بالفصيح منها.
- ✓ قرأ الجمهور (الرّجز) بكسر الرّاء على لغة قريش، وقرأ الجمهور (رُبوة) بضمّ الرّاء على لغة قريش، وقرأ الجمهور (و الوَتْر) بفتح الواو وسكون التّاء وهي لغة قريش، قرأ الجمهور (خَطِفَ) بكسر الطّاء وهي لغة قريش.
- ✓ كذلك كان للغة قريش أثر في اختيار كبار القرّاء ومنهم (أبو عمرو بن العلاء) والفصحى كما بدت لي هي أوسع من لغة قريش وأشملُ، فليس كل الظواهر الّتي عُزِيَت إلى قريش هي الظواهر الفصيحة الّتي أخذت بها العربّية الموحّدة، ومن أدلّة ذلك :

1) <u>حركة (هاء الغائب) بعد (الياء السَّاكنة) أو الكسرة</u>:

فللعرب فيها غير نهج: بعض العرب يقولُ (علَيْهُمُ) بضّم الهاء والميم. وبعض العرب يقولُ (عليهِم) بكسر الهاء والميم، وهذا هو النّهج الأكثر وهو ليس في لغة قريش.

2) <u>مسألة الهمز</u> **:**

الهمزة من أثقل الحروف نطقاً، وأبعدها مخرجاً وللعرب فيها غير نهج : نهج التّحقيق: وهو لدى تميم وأسد وقيس نحو (بئر- خاسئاً- فؤاد) بتحقيق الهمزة. وخففها آخرون: وهم أهل قريش والحجاز، نحو: (بير- خاسياً - فُوَاد) و تحقيق الهمز أكثر فصاحة من تخفيفه.

ثانياً - لغة تميم :

- ✓ هي من أبرز لغات العرب وهي الموازية للحجازيّة وغالباً ما يذكر نهج هذه عند نهج تلك وقد عُدَّت من اللُّغات التي نزل بها القرآن الكريم، وقد تميزّت لغتها بالفصاحة..
- ✓ ومن الأخبار أنَّهُ قُرِئَ على النبي ﷺ من كُلِّ خمسٍ من أخماس البصرة رجلٌ فاختلفوا في قراءاتهم، فرضي النبي ﷺ **(قراءاتهم)** كلّهم فكان بنو تميم أعرب القوم..
- ✓ وممّن مكن أخماس البصرة (تميم - بكر بن وائل - عبد القيس - الأزْد- العالية)، ويَذكرُ (أبو عمرو بن العلاء) : أنّ أفصح النّاس (سافلةُ) قُريش **وعاليةُ (تميم)**.

ومما يدلِّلُ على فصاحةِ (تَميم) ما رَواهُ الأصمعيّ عن بعضِ بطونهِم، كقولهِ: "رأيتُ امرأةً من تميم لمْ أرَ أفصحَ منها".

<u>ظواهر تميميّة فصيحة:</u>

1. ادِّغَام لام المُضاعَف في الجَزم، والوَقف، نحو: ((مَنْ يُشَاقَّ))، و((مَنْ يُرتَدّ)).
2. الإمالة: وهي أنْ تنحوَ بالفتحةِ نحوَ الكسرة، وبالألِفِ نحوَ الياء..وقد عَزَاها (الزَّجَّاج) إلى أهلِهَا فقال: "والإمالةُ لغةُ تميم وغيرهِم منَ العرب، وقد وصَفَها بالفصَاحةِ فقال: "وهي جيّدة فصيحة"، وقالَ الدَّانِي : الإمالة والفتحُ لُغتانِ مشهورتَانِ فاشِيَتانِ على ألسنةِ العربِ الذينَ نزلَ القرآنُ الكريمُ بلُغتهِم، فالفتحُ لغةُ الحجازِ والإمالةُ لغةُ عامّةِ أهلِ نجدٍ من تميمٍ وأسدٍ وقَيسٍ (الضُّحِي).

<u>ظواهر غير فصيحة في لغة تميم :</u>

تميم تقول: (الحَمْدِ للهِ). ولا خيرَ في هذه اللغية. وتقول: (أفْلَطَّنِي) في (أفلَتَّنِي)، وقِيل: هي تميميَّةٌ قبيحةٌ. ومما تقدَّمَ ينبغي أنَّ نعدَّ لغةَ تميم من فصيحِ لُغاتِ العرَب بشهادةِ أهلِ العِلمِ، وبدلالةِ ما وردَ من لُغاتِها في القرآنِ الكريمِ.

≅≅≅

المصادر

1. ا.د. عبد الفتاح محمد محاضرات في فقه اللغة العربية
2. وافي، عبد الواحد *فقه اللغة*. القاهرة: دار نهضة مصر، 1971م.
3. أنيس، إبراهيم *في اللهجات العربية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1960م.
4. حسن، تمام *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: عالم الكتب، 1985م.
5. مبارك، زكي *فقه اللغة وخصائص العربية*. القاهر ة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1940م.
6. حجازي، محمود فهمي *علم اللغة العربية*. القاهرة: دار غريب، 1994م.
7. حسين، محمد الخضر *القياس في اللغة العربية*. القاهرة: المطبعة السلفية، 1956م.